مدينة طنجة تعانق البحر الأبيض والمحيط الأطلسي صلة الوصل بين القارتين الأوروبية والإفريقية

الدار البيضاء: نجيب خليفة

النادي الملكي للغولف في طنجة

توجد مدينةَ طنجةَ بشمال المملكةَ المغربيةَ على نقطةَ تقاطع البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، ويفصلها مضيق جبل طارق عن القارةَ الأوروبيةَ، وبذلك تعد أهم نقطةَ عبور من دول أوروبا إلى الدول الإفريقيةَ والعكس صحيح. تتوفر على كل مواصفات المدن السياحيةَ لتوفرها على أجمل كورنيش في المنطقةَ، واحتوائها لمطار دولي، وميناء يتنوع بين خطوط تحميل السلع و نقل المسافرين. ولا يمكن التحدث عن معالم وتاريخ ومؤهلات هذه المدينةَ دون التطرق إلى مدن: تطوان، والعرائش، و أصيلا، وشفشاون التابعةَ لها إداريا، كونها تكون فيما بينها مجموعةَ متكاملةَ ومتناسقةَ، تاريخيا وسياحيا واقتصاديا واجتماعيا.

تاريخ طنجة في سطور

أفضل قراءة لتاريخ طنجة، هي قراءة مواقعها وبقاياها الأثرية المتواجدة بها وبمنطقتها، والمنتمية إلى حقبة ما قبل التاريخ، وعهد الفنيقيين والبونيقيين الذي ربط إسم طنجة بأساطيرها العريقة ، ثم الفترة الرومانية التي أصبحت طنجة تتمتع، خلالها، بحق المواطنة الرومانية، بل من المحتمل جدا أن روما جعلت من طنجة عاصمة لموريتانيا الطنجية (المقاطعة الغربية لروما بشمال إفريقيا). وبعد ركود موقت، استرجعت طنجة حيويتها زمن الفتوحات الإسلامية، وفتح الأندلس على يد طارق بن زياد سنة ٧١١م، ثم من طرف المرابطين والموحدين الذين جعلوا من طنجة معقلا لتنظيم جيوشهم وحملاتهم. بعد ذلك تتالت على طنجة فترات الغزو الإسباني والبرتغالي والإنجليزي منذ ١٤٧١م إلى ١٦٨٤م، والتي تركت بصماتها حاضرة بالمدينة العتيقة كالأسوار والأبراج والكنائس. وتعد فترة الملوك العلويين خصوصا المولى إسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله، أهم مرحلة ثقافية وعمرانية في تاريخ طنجة الوسيط والحديث. فبعد تحريرها من الإنجليزي سنة ١٦٨٤م في عهد المولى إسماعيل، أكدت طنجة دورها العسكري والدبلوماسي والتجاري

ساحل المحيط الأطلسي
من جهة طنجة

كبوابة على دول البحر الأبيض المتوسط، وبالتالي عرفت تدفقا عمرانيا ضخما، فشيدت الأسوار والحصون والأبواب. وازدهرت الحياة الدينية والإجتماعية، فبنيت المساجد والقصور والنافورات والحمامات والأسواق، كما بنيت الكنائس والقنصليات والمنازل الكبيرة الخاصة بالمقيمين الأجانب، حتى أصبحت طنجة عاصمة ديبلوماسية بعشر قنصليات سنة ١٨٣٠م، ومدينة دولية يتوافد عليها التجار والمغامرون من كل الأنحاء نتيجة الإمتيازات الضريبية التي كانت تتمتع بها.

أسوار المدينة.. حديث الماضي للحاضر

تمتد أسوار طنجة على طول ٢٢٠٠م، مسيجة الأحياء الخمسة للمدينة العتيقة : القصبة، دار البارود، جنان قبطان، واد أهردان، و بني إيدر. شيدت تلك الأسوار على أنقاض أسوار المدينة الرومانية «تينجيس». غير أنها رممت وحصنت وأعيد بناء بعضها خلال الفترة الإنجليزية (١٦٦١-١٦٨٤م)، ثم فترة السلاطين العلويين الذين أضافوا عليها في القرن ١٨م: برج النعام ، برج عامر، برج دار الدباغ و برج السلام. كما فتحوا بها ١٣

بابا منها : باب القصبة، باب مرشان، باب حاحا، باب البحر، باب العسة، باب الراحة و باب المرسى.

مآثر تحكي عن تاريخ المدينة العتيقة

قصبة غيلان: تقع على الضفة اليمنى لوادي الحلق، على الطريق المؤدية إلى مالاباطا شرق المدينة العتيقة. تم بناؤها حوالي ١٦٦٤م، ويرتبط اسمها باسم الخدير غيلان قائد حركة الجهاد الإسلامي ضد الاستعمار الإنجليزي الذي احتل مدينة طنجة ما بين ١٦٦٢م و ١٦٨٤م. تتوفر القلعة على جهاز دفاعي محكم، عبارة عن سورين رباعيي الأضلاع محصنين ببرجين نصف دائريين وبارزين، تتوسطهما باب عمرانية ضخمة.

يحتل قصر القصبة أو دار المخزن موقعا استراتيجيا في الجهة الشرقية من القصبة، من المرجح جدا أنه استعمل خلال فترات أخرى من التاريخ القديم. بني قصر القصبة أو قصر السلطان مولاي إسماعيل من طرف الباشا علي أحمد الريفي على أنقاض القلعة الإنجليزية، وهو يحتوي على مجموعة من المرافق الأساسية : الدار الكبيرة، بيت المال، الجامع، المشور، السجون، دار الماعز والرياض. في سنة ١٩٣٨م تحولت البناية إلى متحف إثنوغرافي وأركيولوجي لطنجة ومنطقتها.

الجامع الكبير: يتواجد على مقربة من سوق الداخل. تم تحويله إلى كنيسة خلال فترة الإستعمار البرتغالي، في سنة ١٦٨٤م تم استرجاعه وعرف عدة أعمال ترميم وتوسيع خلال الفترة العلوية. ويتميز الجامع ببهائه وغنى زخارفه، حيث استعملت فيه كل فنون الزخرفة من فسيفساء وزليج وصياغة ونقش ونحت وكتابة على الخشب

شارع طنجة

طنجة ٢

والجيس. كما يحتوي على بيت للصلاة مكون من ثلاثة أروقة متوازية مع حائط القبلة، وصحن محاط من كل جانب بروافين. وبذالك، يعتبر نموذجا للمساجد العلوية المعروفة ببساطة هندستها.

أماجامع الجديدة: ويعرف كذلك باسم جامع عيساوة وأحيانا بمسجد النخيل، فيقع أمام الزاوية العيساوية على زنقة الشرفاء. ويتميز بمنارته ذات الزخارف الفسيفسائية.

السفارة الأمريكة: أول مؤسسة أصبحت في ملكية الولايات المتحدة خارج أمريكا بعد أن أهداها لها السلطان مولاي سليمان الأول سنة ١٨٢١م. فبعد أن استعملت كسفارة أمريكية بالمغرب لمدة ١٣٥ سنة، تم أصبحت سنة ١٩٧٦م متحفا للفن المعاصر. تحتوي البناية على فناء وسط يذكر بنموذج العمارة الإسبانية الموريسكية، تحيط به مجموعة من القاعات المخصصة لعرض مجموعة من اللوحات الفنية التي أنجزت في المغرب. كما توجد بها خزانة عامة للكتب الإنجليزية وخزانة متخصصة في تاريخ المغرب العربي وقاعات أخرى للدراسة والبحث.

الكنيسة الإسبانية بعد أن كانت في ملكية أسرتين يهوديتين، اشتراها السلطان محمد بن عبد الله حوالي ١٧٦٠م، ثم إهداؤها للحكومة السويدية لتؤسس بها أول قنصلية لها سنة ١٧٨٨م. وفي ١٨٧١م استغلها الحاكم الإسباني ليجعل منها إقامة للبعثة الكاثوليكية، فبنى بها كنيسة كبيرة سماها «لابوريسيما» على السيدة مريم أم المسيح. لكن منذ حوالي ثلاثين سنة، ولأنه لم يعد يتردد المسيحيون على الكنيسة بكثرة، أصبحت المؤسسة تعنى بأنشطة اجتماعية مختلفة. أما حاليا فلم يبق من البناية سوى الجزء العلوي من السلم الرئيسي.

مغارة هرقل أكبر مغارة في إفريقيا

تعتبر مغارة «هرقل» في ضواحي مدينة طنجة أكبر مغارات القارة الإفريقية، حيث توجد فيها سراديب تمتد إلى مسافة ٣٠ كيلومترا في باطن الأرض، وتستقطب المغارة السياح وهواة الإستعوار منذ اكتشافها عام ١٩٠٦. تشرف المغارة التي نحتتها الطبيعة في بطن مرتفع صخري على المحيط الأطلسي غير بعيد عن بوغاز جبل طارق، حيث تتعانق مياه البحر الأبيض المتوسط بمياه المحيط الأطلسي، وتنتمي إلى مجموعة مغارات منطقة أشقار التي يعود تاريخ استيطانها إلى

خمسة آلاف عام قبل الميلاد، ومن خلال شرفة المقهى العلوي يمكن للسائح مشاهدة خليج طنجة ومضيق جبل طارق وسواحل الأندلس بالعين المجردة حين يكون الجو صحوا.

مدن تكون وحدة متكاملة مع طنجة مدينة أصيلة جوهرة الشمال:

يعود تاريخ نشأة مدينة أصيلة (من توابع طنجة الإدارية) إلى أكثر من ألفي سنة، فقد حط بها الفينيقيون والقرطاجنيون، قبل أن تتحول إلى قلعة رومانية تحمل إسم «زيليس» على بعد أربعين كيلومترا جنوب طنجة. وفي القرن العاشر الميلادي، قدم إليها النورمانديون من صقلية واستقروا بها، واحتلها البرتغاليون سنة ١٤٧١م ليشرفوا من خلالها على سفنهم التجارية عبر المحيط الأطلسي.

وبعد معركة الملوك الثلاثة التي وقعت سنة ١٥٧٨م، والتي سقط فيها ملك البرتغال سان سيباستيان صريعا في معركة وادي المخازن، استطاعت المدينة أن تتخلص من الاحتلال البرتغالي على يد أحمد المنصور السعدي سنة ١٥٨٩م، لكنها سرعان ما سقطت في يد الإسبانيين الذين استمر احتلالهم لها إلى

غاية سنة ١٦٩١، وهي السنة التي أعادها السلطان مولاي اسماعيل إلى نفوذ الدولة العلوية.

تعتبر المدينة العتيقة لأصيلة فضاء ساحرا بدروبها الضيقة، وأزقتها الأنيقة، ومنازلها المتشحة بالبياض في تراص جميل، وأبوابها ونوافذها المتلفعة بزرقة مُشعة واخضرار براق، وبجدارياتها المُزينة برسوم فنانين تشكيليين من مختلف المدارس والأجيال، والأسوار المحيطة بها التي يعود تاريخها إلى عهد البرتغاليين.

يمكن ولوج أحياء المدينة العتيقة عبر ثلاثة أبواب هي باب القصبة، وباب البحر، وباب الحومر. وتوجد بداخلها قيسارية لمنتجات الصناعة التقليدية، وساحة «القمرة» التي تقام بها سهرات الهواء الطلق خلال الموسم الثقافي للمدينة، وساحة أخرى تشرف على البحر يسميها الأهالي ساحة «الطليان»، تؤدي إلى بُرْج «لقريقية» الشهير الذي يطل على المحيط، حيث يمكن الاستمتاع بغروب الشمس، ومشاهدة ميناء المدينة، والإطلالة على ضريح سيدي أحمد المنصور أحد المجاهدين الذين تصدوا للاحتلال البرتغالي.

ويعتبر قصر الريسوني، الذي أصبح يحمل اسم «قصر الثقافة»، من أهم معالم المدينة العتيقة، ويعود تاريخ بنائه إلى بداية القرن العشرين. ويبهر هذا القصر بجمال بنائه، وبهاء عمرانه، ورونق نقوشه المنبثقة من الفن العربي

طنجة وهي تستقبل الليل

كورنيش طنجة

الإسلامي الأصيل، وقد تم ترميمه في منتصف التسعينيات ليصبح فضاء يحتضن بعضاً من أنشطة الموسم الثقافي لأصيلة.

١.مدينة العرائش..حضارات مرت من هنا:

تعتبر مدينة العرائش من أقدم المدن المغربية. عرفت أربع حقب فينيقية وقرطاجية ورومانية واسلامية، كما تسبب موقعها الإستراتيجي في تعرضها للغزوات الإيبيرية. وقد ساهم هذا التعاقب الحضاري في منح المدينة العديد من المعالم التاريخية التي تعكس غنى ثقافة المدينة والتي حافظت بالخصوص على آثار الوجود الإيبيري الذي اندمج مع العمارة الإسلامية بجانب طابعها الأمازيغي. تم النهوض بمدينة العرائش التي كانت عبارة عن مجموعة حضرية صغيرة واقعة على ربوة تطل على مصب نهر اللوكوس، وذلك من خلال المراحل الآتية: في القرن ١٥ الميلادي بدأ اهتمام الأوروبيين يتزايد بالمدينة، نتيجة وجودها على المحيط الأطلسي وتوفرها على ميناء هام، وذلك بحثا عن فرص توسع التبادل التجاري. وفي القرن ١٦ الميلادي : استمرت الحملات الإستعمارية ذات الطابع التوسعي العسكري، حيث حاول البرتغاليون استعمارها سنة ١٤٨٩م ثم حاولوا مرة ثانية، ولكن تم دحرهم منها اثر هزيمة كبيرة على يد السلطان احمد المنصور

الذهبي في معركة وادي المخازن سنة ١٥٧٨م (معركة الملوك الثلاثة) على ضفة نهر اللوكوس. وتوالت الحملات على العرائش بين أخذ ورد لغاية القرن ٢٠ الميلادي : حيث احتلت المدينة ثانيا من طرف الإسبان سنة ١٩١١م بحجة الحماية. وقد انتهت الفترة الإستعمارية سنة ١٩٥٦م بحصول المغرب على الاستقلال حيث تمت إضافة مرافق عديدة وجديدة حيوية .

مميزات ومعالم العرائش

تتميز المدينة القديمة بالطراز المغربي القديم ، المتكون من أزقة ضيقة، متصلة بعضها مع بعض وأبنية متلاصقة ومتجانسة من خلال ألوانها الأبيض والأزرق، وتمتاز بيوتها من الداخل بالطابع العربي الأندلسي المتكون من وسط البيت وغرف عالية السقف ومنقوشة بأشكال هندسية إسلامية غاية في الجمال والروعة، وتتخلل أزقتها الضيقة بوابات مشهورة مثل باب القصبة ، باب البحر، باب القبيبات، باب المدينة ومساجد عتيقة كجامع الكبير المبني في القرن ١٣م ومحاطة بسور من كل الجهات ومتلاسق مع الحصون التي

مغارة هرقل

كانت تحيط بها. وأهم معالمها التاريخية:

الكومندانسيا: تعتبر الكوماندانسيا من أهم معالم العرائش، معروفة بصومعتها التي كانت تتوسطها ساعة، يمكن رؤيتها من عدة أماكن بالعرائش. تم تشييد هذه المنشأة من طرف مولاي إسماعيل ، واتخذها قصرا له. و استعملها الإسبان فيما بعد كمقر للقيادة العسكرية خلال استعمارهم المدينة سنة ١٩١١م. تقع الكوماندانسيا وراء حي القصبة قرب المتحف الأثري ومسجد الأنوار, وروعي في بنائها الفن المغربي-الأندلسي، حيث تتوفر على مأذنة و زخارف إسلامية. وقد تم إصلاحها أخيرا، وحولت حاليا إلى مقر مندوبية وزارة الثقافة و معهد الموسيقى بالمدينة. **حصن القبيبات:** يقع حصن القبيبات فوق مقر الحراسة القديم المشرف على المحيط الأطلسي ومدخل نهر اللوكوس المحاذي لحي القبيبات بالمدينة القديمة. ويعتبر من الحصون القديمة التي كانت تمتاز بها المدينة. **حصن القبيبات:** يعرف حصن الفتح حاليا ببرج اللقلاق، تم بناؤه بعد النصر الذي أحرزه السلطان احمد المنصور الذهبي على البرتغاليين، خلال القرن السادس عشر الميلادي، ويقع الآن وسط المدينة محاطا بالحديقة العامة على جنبات شارع محمد الخامس. **المتحف الأثري:** يقع المتحف الآثري قرب حي القصبة من الخلف، مجاورا للكوماندنسيا، على ربوة تطل على مدخل المدينة من الشمال ونهر اللوكوس، وأصبح يحتوي على جل الآثار التي تؤرخ للمدينة خلال فترة الفنيقيين والإغريق والرومان ثم الفترة الإسلامية. السوق العتيق: يعتبر هذا السوق من أقدم الأماكن المعروفة بالمدينة، نظرا لأهميته ولمكانه المتميز وسط المدينة.. ويشتمل هذا السوق على عدة أبواب تؤدي إلى أحياء قديمة منها : باب المدينة، باب القصبة، باب القبيبات. وكان محاطا بأسوار تمت إزالة معظمها قصد بناء المدينة الجديدة من جهة باب الغريسة.

يتبع.....